# تطوير الذات
## دراسة شرعية نقدية

د .صغيّر بن محمد بن فالح الصغيّر
عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود
قسم الآداب والتربية/كلية المجتمع

**مقدمة:**

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد/

فتلك وريقات مختصرات لدراسة استقرائية نقدية شرعية في تطوير الذات أو سمّها إن شئت "تطوير الذات بين الوهم والحقيقة ، كيف تطوّر ذاتك من غير محاذير وإشكالات؟؟ " بعد تجربة عايشتها مع كتب وبرامج و دورات تطوير الذات ليست بالقصيرة ، وإنه لمن الصعب جداً وضع تلك البرامج والدورات والكتب في ميزان لمحاكمتها ، نظراً لكثرتها وفيها الطهور والطاهر والنجس ، و نظراً لمصادرها فمنها ما أُخِذ من بئر جيف الديانات الوثنية والباطنية والإلحادية ، ومنها ما استسقي من المصادر العذبة الزلال من الكتاب والسنّة والتجارب النافعة من الخبراء و العلماء التي لا تُعارض شريعتنا السمحة. وهذا العلم المتجدد نوعا ما والخليط أحدث شروخاً عند كثير من المستهدفين فيه ، خاصةً أولئك أصحاب الثقافة الشرعية المهزوزة أو الشبه العقدية أو أولئك المرضى الذين ابتلوا فلم يتحملوا ، وكانوا سريعي التأثر بـــــــــــــ( كارزما) شخصية الملقي أو المدرب أو الكاتب الجذابة والتي تبني داخل نفس المتلقي جدارا وتهدم صرحاً ، خذ مثلاً تلك الفكرة التي كثيرا ما يروج لها بعض المدربين وينقلها مريديهم بدون ضبط شرعي أو اجتماعي أو سلوكي وهي قانون الارتباط !! وهي ببساطة أن تفك ارتباطك بأي شيء ومع أي أمر قد يسبب لك قلقاً حتى لو كانت زوجك أو أبناؤك فإذا تحررت عشت بسلام _ على حد زعم الفكرة _ وأنتجت أكثر !!

و نظراً لأن كثيرا من المتلقين لديهم قلق نفسي تجاه أسرهم تشكل له هذه الفكرة هاجساً فيبدأ بتطبيقها من دون تهذيبها ومحاكمتها شرعاً وعقلاً ، فيشعر بنوع سعادة ونشوة ويطرب ذاته ، إذ المسؤولية التي كانت على عاتقه قد تخلى عنها أو عن شيء منها ، هذا الطرب الذاتي وتلك النشوة ليست تطويراً إذ كيف تكون

تطويراً وأنت لاتشعر بأدنى مسؤولية تجاه أسرتك ، ولذا لاتستغرب عندما تجد أن أكثر المدربين المروجين _فضلا عن المريدين _ لمثل هذه الفكرة لديهم خلل في أسرهم وعلاقاتهم مع زوجاتهم وأبنائهم .!!

أرأيت أخي القاريء كيف بُني الجدار وهدم الصرح !!

فكيف إذا كانت الفكرة عقدية !!؟ وكان الصرح توحيداً للربوبية أو الإلهية فهُدم داخل النفس ، أو في القضاء والقدر إنه لأمر عظيم يستحق التوقف والتأمل !!

والقارئ يجد الغرب قد علل كثيراً تطوره المادي بالتركيز على هذه التنمية الذاتية ، فاستغل بعض كتابهم ذلك لترويج أوهامهم ، كما فعلت المؤلفة " روندا بايرن " في كتابها المشهور " السر " The secrt، وفي فلمها المشهور " السر " والذي شارك فيه نخبةٌ من معلميهم وروادهم ... وأن سر نجاحاتهم اكتشافهم لتلك القوانين الكونية كما يسمونها ، وللأسف لقي هذا الكتاب وأمثاله رواجاً عند بعضنا مع أنه يؤسس لهدم التوحيد الذي أمرنا الله تعالى به ، ويقرر دعوة غير الله كالطبيعة ، بل يقرر عقيدة الحلول تعالى الله ... ويقعّد أن العبد يخلق جميع أفعاله ، أو أن الكون هو الله.. تعالى الله سبحانه ، وتبعات هذا السر خطيرة جدا فهي تؤدي إلى وحدة الأديان ثم تتطور إلى الإلحاد والعياذ بالله !! وعندما تضع تلك الكتب على الميزان ليس الشرعي والعقدي فحسب بل حتى على مستوى النتائج للفكرة ذاتها تجدها تخلق وهماً لا ضبط له ، و تجدها صُنعت لترويج أفكار باطنية من خلال النفسيات البشرية وأوهام لا علاقة لها لا بالغنى ولا الفقر وإلا السعادة ولا الشقاوة ، بل استجلاب لفلسفات قديمة باطنية ، بعضُ مروجيها مات منتحرا نسأل الله العافية ..!

ولقد وقفت على أكثر من حالة لأبنائنا وبناتنا ممن أصابهم هوس وجنون بسبب قرائتهم لبعض تلك الكتب والتسليم بما جاء فيها مطلقا .

ومع ذلك كله فنحن لا نمنع من الاستفادة من تجارب الآخرين في الحياة الناجحة والتي لا تخالف شريعة رب العالمين.

لكن ما أود قوله لكثير ممن يرغب بتطوير ذاته و لحياة ناجحة أنك في غُنية من هذا كله ، إذ المسلم المتأمل في كتاب الله جل وعلا هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يجد أن القرآن الكريم جاء بكل ماتحتاجه لتطوير ذاتك ، بل ما هو أفضل لك ..جاء بتلك القواعد العظيمة والسنن الإلهية لينهض بالفرد والمجتمع..

كيف لا ؟! وهذا القرآن الكريم الصالح لكل زمان ومكان هو كلام الله خالق البشر وهو سبحانه أعلم بهم من أنفسهم "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " لكن أين من يتدبر ؟ وأين من يطبق ويعمل بهذا الدستور العظيم ؟!

ولهذا فإني سأحاول جاهدا أخذ الأفكار المفيدة في تطوير الذات ، والتي دلّ عليها الكتاب و السنة أو ما استفيد من التجارب الناجحة بعد أن أذكر المحاذير ..

**وخذها قاعدة** لا تثق بأي فكرة يطرحها المدرب أو الكاتب في مجال تطوير الذات ثم يستدل لها من الكتاب أو السنة حتى تتأكد من الدليل ووجه دلالته ، وصحته وضعفه ، بنفسك من المصادر المعتبرة !!

**وإنّه لمن الظلم البيّن أن يقال إنّ برامج وكتب و دورات تطوير الذات كلها هكذا** ..كلا والله فمنها المفيد النافع، ومن المدربين التقي الورع الناصح الذي يستقي مصادره من الشريعة السمحة ويتحاكم إليها ..

والسؤال الذي يتكرر دائماً هل في ثقافتنا أو قراننا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ما يدعو لتطوير الذات ؟؟

من هنا جاء الهاجس للكتابة في هذا الموضوع!! ، فقسّمت الورقة حسب الخطة الآتية :

المقدمة. و فيها سبب اختيار الموضوع ومشكلته وخطة دراسته ..

التمهيد : وفيه مدخل تعريفي بمصطلحات الموضوع

المبحث الأول : ملخصٌ للمحاذير في برامج ودورات وكتب تطوير الذات :

أولاً : المحاذير الشرعية والعقدية .

ثانياً : المحاذير النفسية والسلوكية .

ثالثا : المحاذير الاجتماعيّة .

المبحث الثاني : طوّر ذاتك من خلال أوامر ونواهي القران و السنة و التجارب التي لاتعارضها ..

أولاً : التفاؤل والتوكل .

ثانياً : كيف يبدأ التغيير من الداخل .

ثالثاً : الدعاء والطلب .

رابعاً : التخطيط والاستشراف المُشرق .

خامساً : العمل سر السعادة والنجاح .

سادساً : الوفرة والعطاء .

سابعاً : الشكر والامتنان .

الخاتمة : وفيها أهم التوصيات والنتائج .

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله ، وما كان فيها من خطأ أو تقصير فمن نفسي والشيطان ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ..

**تمهيد:**

## مدخل تعريفي بمصطلحات الموضوع

**المقصود بالتنمية البشرية الذاتية ( تطوير الذات ):**

سبق القرآن الكريم بها كمعنى ، وليس كمصطلح قبل العالم الغربي ، إذ في الآونة الأخيرة انتشر مصطلح " التنمية البشرية " خاصة في العالم الغربي ، وكثرت الكتابات حوله .. ويؤكد بعض الباحثين أن هذا المصطلح فرض نفسه في الخطاب الاقتصادي والسياسي بل وفي تطوير الإنسان ذاته .. ولقد أدى البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وتقاريره السنوية عن التنمية البشرية دوراً بارزاً في نشر هذا المصطلح .. [١].

وقبل أن أخوض في غمار هذا المصطلح أوضح معناه في اللغة العربية ، ثم أذكر بعض تعاريفه في الاصطلاح ، ثم استنتج المفهوم المتلائم مع المقصود به في هذا البحث المختصر .

فالتنمية البشرية مركبة من كلمتين ( تنمية ) و ( البشرية ) .

والتنمية في اللغة :- هي من النماء وهي الزيادة .

وهذه الزيادة قد تكون حسيّة كما في قولهم : نما الخضاب : ازداد حمرةً وسواداً .

وقد تكون معنوية كما في الحديث " ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أونمّى خيراً " [٢] نما ونمّى مشددة ومخففة [٣].

قال في تحفة الاحوذي : ( أونمّى خيراً ) شكٌ من الرواي .. قال الجزري : يقال نميت الحديث أنميته إذ بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير ، فإذا بلغته على

---

[١] – د/ محمد يوسف أبو ملوح – مركز القطان للبحث والتطوير التربوي ، غزة ، بحث منشور عبر الشبكة .

[٢] – رواه ابو داود ٤ / ٢٨٠ ، والترمذي ٤ / ٣٣١ وقال حديث حسن صحيح .

[٣] – لسان العرب لابن منظور ١٥ / ٣٤٢ بتصرف

وجه الإفساد والنميمة قلت : نميتّه بالتشديد ، هكذا قال أبو عبيد وابن قتيبة وغيرهما من العلماء [١].

وبناءً على ما سبق فإن التنمية في اللغة تدور حول معنى الزيادة والتطوير والإصلاح

وأما لفظ البشرية : فهي من " البشر " والبَشَر المقصود بهم الخلق [٢].

قال في لسان العرب : البشر الخلق يقع على الأنثى والذكر الواحد والاثنين والجمع لا يثنى ولا يجمع [٣]..وهنا قد يراد بهم الناس ، كما في قوله تعالى : **{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ}**[٤]

إذاً فمصطلح التنمية البشرية " مركباً " يعني في اللغة : إصلاح وتطوير البشر سواءً كانوا ذكوراً أو إناثاً ، سواءً تعلق بشخص واحد أو عدة أشخاص أو مجموعات .

وهكذا فيمكن القول بالاصطلاح المعاصر أن للتنمية البشرية بُعدين :

**الأول :** يهتم بمستوى النمو الإنساني في مختلف مراحل الحياة لتنمية قدرات الإنسان ، واكتشاف طاقاته البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية والمهارية و الروحية . وهذا يوافق معنى تطوير الذات الذي نريده !!

**أما البعد الثاني :** فهو أن التنمية البشرية عملية تتصل باستثمار الموارد والمدخلات ، و الأنشطة الاقتصادية التي تورد الثروة والإنتاج لتنمية القدرات البشرية عن

١ – تحفة الأحوذي للمباركفوري ٦ / ٦٠ .
٢ – مختار الصحاح للرازي صـــ ٤٦ .
٣ – لسان العرب ٤ / ٥٩ .
٤ _(٧١) سورة ص

طريق الاهتمام بتطوير الهياكل ، والبنى المؤسسية التي تتيح المشاركة والانتفاع بمختلف القدرات لدى كل الناس [1]. وهذا المعنى ليس مقصوداً في هذه الورقة .

**وبعبارة أخرى مختصرة فالتنمية البشرية المقصودة هنا** : هي علم تطوير الذات وبناء الشخصية ، هدفه النهوض بالفرد والمجتمع من خلال طرح عدة أفكار في مجالات النجاح والعلاقات والعمل والسلوكيات حسا ومعنى..، ولذلك أضفت عليها قيد " الذاتية" في عنوان المبحث .

**المبحث الأول : ملخصٌ للمحاذير في برامج ودورات وكتب تطوير الذات :**

أود القول قبل الولوج في عرض المحاذير إلى أن ما سأذكره ليس كل المحاذير ، وإنما هو أكثرها شيوعاً في نظري ، حتى يستبين القارئ ويتجنبها ..

**أولاً : المحاذير الشرعية العقدية .**

**المحذور الأول :**

الإيمان بأنّ العبد يخلق فعل نفسه ، فكثير ممن يؤسس لقانون الجذب يقرر أن الإنسان الإيجابي يجذب الأشياء الإيجابية إلى حياته، والسلبي خلافُه. ففي البداية صورت لنا أنّ هذا ضربٌ من التفاؤل ، والحقيقة أنّ هذا من عقائد الفلاسفة والمعتزلة قديماً ، الفأل الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعني أنك تترك العمل وتنتظر أن تخلق فكرتك حياتك ومستقبلك ، الفأل الحقيقي هو أن تكون متوكلا على الله _كما سيأتي مزيد تفصيل في ذلك_ وتعمل بجد واجتهاد ، والتفاؤل حتى وإن لم تحقق ماتريد فمعناه أن الله أراد لك خيراً منه ، وليس معناه أنك جذبت شيئاً سلبياً من خلال فكرتك فأفسد مشروعك !!!

١ – من بحث الدكتور : محمد يوسف أبو ملوح ، منشور عبر الشبكة .

ولازم كلام من يقول أنّ العبد يخلق فعل نفسه أنّه ينكر الأدلة التي تدل على أن الله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، مثل قول الله تعالى: **(فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ)**[1] ، وكذلك قول الله تعالى: **(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ )**[2] دليل على أنه منّ على هؤلاء فهداهم فضلا منه ونعمة ، وأنه الذي وفقهم وأعانهم حتى أقبلوا عليه وتقبلوا ما أمرهم به ، وكذلك خذل الآخرين وأضلهم وصدهم عن الخير وصدهم عن الهدى، فكل ذلك خلقه، وكل ذلك تصرفه.

الله تعالى على كل شيء قدير، ولا يمكن أن يخرج أحد عن قدرته، ولا يمكن أن تكون قدرة المخلوقين أقوى من قدرة الخالق.[3]

ثم قد يستدلون ببعض الأدلة التي فيها نسبة الأفعال إلى المخلوقات مثل قوله تعالى: **(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)**. والحق أنّ هذه الآية جاءت في معرض التهديد .وثبوت مشيئة العبد مرتبط بمشيئة الله تعالى؛ ولأجل ذلك يذكر الله أن مشيئتهم مسبوقة بمشيئة الخالق، وقدرتهم مسبوقة بقدرة الخالق؛ فالله تعالى خالقهم وخالق أفعالهم. قال تعالى : **(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)**[4] .

قال شيخ الإسلام: ( فجمهور أهل السنة من السلف والخلف يقولون: إن العبد له قدرة وإرادة وفعل، والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ..) ثم ساق الأدلة على ذلك .[5]

---

١ _ (١٤) سورة النحل

٢ _ (٣٦،٣٧) سورة الزمر.

٣ _ مختصر من دروس مسجلة للشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله منشورة في موقعه الرسمي.

٤ _ (٣٠) من سورة الإنسان .

٥ ___ منهاج السنة (١/٢٠-٢١)

**المحذور الثاني :**

التعبدات الوثنية ..وذلك في مثل ممارسات اليوغا التي يشيعها أدعياء العلاج بالطاقة هي في حقيقتها عبادات وثنية يحاول «اليوجي» أو العابد من خلالها الرقيّ بعقله ليتحد في أعلى مقاماته التي تدعى «سَمادْهي»بالعقل الصانع الذي أوجده، وهذا عندهم غاية اتحاد المخلوق بالخالق وهو الفناء عند الصوفية، فيُحصل العابد بذلك الخلاص من عمليات «التدوير» المتكررة؛ وهذا النعيم يدعونه «موكشا» أو «نرڤانا»..

والخلاصة أنه لا يجوز للمسلم أن يمارس اليوغا البتة ، سواء أكانت ممارسته عن عقيدة ، أو عن تقليد ، أو كانت طلباً للفائدة المزعومة ، ويرجع ذلك لأسباب منها :

١. كون اليوغا تمس عقيدة التوحيد ، وتشرك مع الله سبحانه وتعالى معبوداً آخر سواه ، لما فيها من سجود للشمس ، وترديد أسمائها . يقول تعالى : ( **قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به** )[١] ، ويقول أيضاً : ( **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** )[٢].

٢. لأن فيها تقليداً للوثنيين ومشابهة لهم ، ويقول صلى الله عليه وسلم : ( مَن تشبَّه بقوم فهو منهم ) [٣].

٣. لأن بعض تمارينها تضر أغلب الناس ، وتؤدِّي إلى عواقب ومخاطر صحية لديهم .

---

١ _ (٣٦)سورة الرعد

٢ _ (٦٥) سورة الزمر

٣ _ رواه أحمد (١٢٣/٩) وأبو داود (٤٤/٤) برقم(٤٠٣١) وصححه الألباني في الإرواء (١٠٩/٥).

وبعض طرقها الأخرى جلوس معيب ، وخمول ، وذهول فقط ، وهذا أيضاً يضر من الناحية الصحية والنفسية ، يقول صلى الله عليه وسلم : ( لا ضرر ولا ضرار )[1].

٤. لأنها دعوة فاضحة إلى التشبه بالحيوانات ونكس عن الإنسانية ، مثل : تبني العري ، الاعتماد على الأطراف الأربعة في أغلب تمارين ( سوريا ناماسكار ) ، والوقفة الخاصة في التمرينين الثالث والثامن .

٥. لأن كثيراً ممن حاولوا ممارسة المسماة " اليوغا العلمية " أو " الطب السلوكي " تردوا في هوّة المخدرات ، وغطسوا في مستنقع الإدمان ، وقد ثبت عقم هذه الطريقة العلاجية وعدم جدواها .

٦. لأنها قائمة على الكذب والتدجيل ، وقد اعتمد مروِّجوها الغش وقلب الحقائق في أثناء نشرها والدعاية لها ، وذلك لجذب أنظار أكبر عدد من السذّج والبسطاء ، وجرف كثير من ضعاف الإيمان .

٧. لأن عدداً قليلاً من المتمرسين في اليوغا ، أو بعض الاتجاهات الغامضة والمنحرفة الأخرى قد تظهر على أيديهم خوارق للعادة يخدعون بها الناس ، وهي في أغلبها إنما يستخدمون شياطين الجن كما في الاستدراج والسحر وغيره ، وهذا حرام في الإسلام .

٨. كون أكثر الوصايا التي يوصى بها دعاة اليوغا : وصايا ضارة ، ومؤذية للإنسان، والتي منها :

أ. العري : وما يسببه من أمراض بدنية ونفسية وجنسية وحضارية .

---

١ _ رواه ابن ماجه (٢/٧٨٤) برقم(٢٣٤٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

ب. تعريض الجلد للشمس : وقد رأينا مضار ذلك ، ولا سيما عندما يكون التعريض للشمس طويلاً .

ج. تركيز النظر إلى قرص الشمس ، وقد مرّت أخطاره الشديدة على العين .[1]

**المحذور الثالث :**

**التعلق بغير الله جل وعلا .**

فمن شرك القائلين بالطاقة الكونية أو الوعي الكوني : ما يلبس من أسورة يزعمون أنها تركز الطاقة وتبثها في الجسم وهي في حقيقتها تَعلُّق بغير الخالق سبحانه، فقد لبسها الأقدمون لدفع الضر (الواهنة)، ويلبسها المتأخرون لجلب النفع (الطاقة)، وقد قال عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً».

**المحذور الرابع :**

**التعلق بالسحر ، والاستعانة بالشياطين .**

وهذا قد يوجد عند بعضهم للأسف الشديد خاصة أولئك الذين يستخدمون الإيحاءات والتنويم المغناطيسي (الإيحائي) بطرق غير مسؤولة ، ولذا جاءت فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[2] :

"التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني يسلطه المنوِّم على المنوَّم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بسيطرته عليه إن صدق مع المنوم ، وكان طوعاً له مقابل ما يتقرب به المنوم إليه ويجعل ذلك الجني المنوم

---

١ _ اليوغا في ميزان النقد العلمي " ( ص ٨٤ – ٨٦ ) . وموقع الإسلام سؤال وجواب .

٢ _ فتوى رقم ١٧٧٩ في ج١ص ٣٩٩ الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

طوع إرادة المنوم يقوم بما يطلبه منه من الأعمال بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذه طريقاً أو وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز، بل هو شرك لما تقدم ، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها الله سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم. انتهى كلام اللجنة.

**المحذور الخامس :** الدعوة إلى عقيدة وحدة الوجود الباطلة بالقول أن الخالق والمخلوق شيء واحد، وأن الإنسان هو الله في جسد مادي، تعالى الله ، والقضية مبنية على عقيدة الدَّهرية ، وهذا الكفر والعياذ بالله ليس بجديدٍ، وإنَّما هو كفرٌ قديمٌ كان موجوداً سابقًا، الذي يتمثل بوحدة الوجود، فعندهم كُلُّ شيءٍ هو الله الجدار وأنا وأنت، هذه عقيدة كفرية قديمة وليس بجديد، فالدَّهرية كانوا يعتقدون أنَّ كُلَّ ستة وثلاثين ألف سنة يعود كُلُّ شيءٍ على ما كان عليه، وهكذا تمضي الدَّورة والعجلة حتى تنتهي، ستة وثلاثين ألف سنةٍ بأحداثها وحروبها ومكتشفاتها ومخترعاتها، ثُمَّ تعود من جديد وهكذا، ولا يوجد بعثٌ ولا نشورٌ ولا جنَّةٌ ولا نارٌ، كلامُ كفرٍ قديمٍ، وكذا قضية تناسخ الأرواح، وأنَّه لا يوجد موتٌ ولا حياةٌ، لا يوجد بعثٌ ولا نشورٌ، فقد سبق وأن نُشر هذا الكفر في عام ١٩٠٦م في كتاب ذبذبات الفكر أو قانون الجذب في عالم الفكر لوليام وكر أتكنسن، الذي أُعيدت طباعة الكتاب بعده بنحو مائة عام، وهذه المنتجة التي تقول: إنَّ الذي أوحى إليها بذلك تأثُّرها وقناعتها بعدما قرأت كتابًا اسمه علم الوصول للغنى لولاس واتلز المنشور عام ١٩١٠، حتى هذا الفيلم الذي جاء مع هذا الكتاب كُلُّه على هذه القضية: خرافة السِّرِّ، وأنَّ النَّفس البشرية فيها هذه الأسرار التي تخلق الأشياء وتجتذب من القدر المطلوبات، إذا تريد ثروةً فتستطيع من خلال الذَّبذبات والتركِّيز والفكر أن تجتذب الثَّروة، ولو كان هذا الكلام صحيحًا لكان لكل واحدٍ أن يفكِّر ويركِّز والذَّبذبات ستعمل عملها وستأتي

بالثَّروة، ولكن كثيراً من هؤلاء المساكين الذين قرءوا وجاءوا للدَّورات ودفعوا مالاً وحضروا وفكَّروا وركَّزوا لم يحصل لهم إلا ذهاب المال بدون مجيء الثَّروة .

**ثانياً : المحاذير النفسية والسلوكية .**

**المحذور الأول : القلق وضعف التوكل .**

فحينما يقرر قانون مثل قانون الجذب أن أي خطأ في جذب شيء سلبي سينتقل إليك ، وطبيعة الإنسان حتماً لاتخلو من الأفكار والوساوس، بل هو في جهاد معها باستمرار ، ولذا أمر بالاستعاذة منها كما في سورة الناس . بل الإنسان نفسه حياته في كبد .. ( **لقد خلقنا الإنسان في كبد** )[1] .. ونتيجة لهذا المعتقد فإنّه سيستمر قلقه كلما مر على خاطرِه خاطرةٌ سلبية خشية أن تقع عليه ، ومع ضعف التوكل فسيضطرب ويقلق أكثر و أكثر ، وهذا القلق المتراكم سيحدث أثراً عظيماً في نفسيته وسينعكس على إنتاجه ونجاحه . وانظر إلى جمال الشريعة حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم "[2].

**المحذور الثاني : سوء الظن بالآخرين .**

لازلت أتذكر كتاباً انتشر بين أوساط الشباب المحب للقراءة معنون ب أعرف ماتفكر فيه .. يقرأ شخصيات الآخرين من خلال حركاتهم . و والله إن هذا الكتاب كارثة أوقع كثيراً منهم في مغبة سوء الظن الخطيرة ، فكلما رأى حركة ولو غير مقصودة من زميل أو قريب أو صديق ولو حكةً لرأسه أو وضع يده بشكل معيّن

---

١ _ (٤)سورة البلد

٢ _ أخرجه البخاري (٤٦/٧) برقم (٥٢٦٩) .

فسرها تفسيراً خاطئاً ولقد حاولت إحصاء التفسيرات السيئة للحركات في ذلك الكتاب فوجدتها تربو على ثمانين في المائة .. فتأمل أخي القارئ حينما يصدّق المتلقي هذه المعلومات الخاطئة كيف سيعيش مع الآخرين؟! ، وليت شعري ليت الأمر يتوقف عند سوء الظن بل إنه يتعدى إلى الوسوسة ومن ثمّ المرض النفسي !!! وهذا مشاهد وواقع ، وانظر إلى جمال شريعتنا ولطفها عندما نهانا ربنا عن سوء الظن ، حيث قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ)**[1] ، كما نهى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً "[2].

**المحذور الثالث : الإغراق في الوهم :**

تحمل تلك الكتب عناوين خطيرة مغرية مثل " التطوير الذاتي والنجاح السريع " ، " أيقظ العملاق داخلك " ، و " تعلم الاستثمار في خمس دقائق " ! ، و " قدرات غير محدودة " ، و " الحمية السريعة " ، و " كيف تسيطر على الآخرين " .

و على أغلفتها يُكتب : " انتبه ، هذا الكتاب سيغيِّر مجرى حياتك " ، " لقد غيَّر هذا الكتاب على وجه التحديد حياة ملايين الأشخاص حول العالم ... وماذاك إلاّ لخداع المتلقي في الكسب وإغراقه في الوهم ، وبعض المدربين هداه الله يصور للمتلقي القمر بيمين والشمس بيمين ، وهو ذاته يعيش فقراً مدقعاً ، أو حياةً اجتماعيةً بائسة ، وفاقد الشيء كما هو معلوم لا يعطيه ، وأحدهم سمعته بإذني يقّعد كيف تصبح مليونيرا ؟ وفي مكان آخر عندما سئل عن عدم إكمال مشاريع عنده بيّن أنه لايمتلك مالاً !!

---

١ _ (١٢) سورة الحجرات.

٢ _ رواه البخاري (١٩/٧) برقم(٥١٤٣) ، ومسلم (١٩٨٥/٤) برقم (٢٥٦٣).

وقد جلست مع أحد المخدوعين وزاد عمره عن الثلاثين وهو لم يتزوج و ليس له وظيفة وناقشته وسألته عن سبب تركه للعمل وجلوسه في المنزل فقال سأحصل قريبا على ملايين و..و.. إني أجذبها في حياتي .. مسكين لم يعلم أن السماء لاتمطر ذهباً ولافضةً خلطوا بين التوكل والتواكل وبين التفاؤل وبذل السبب ..

**المحذور الرابع : الأنانية .**

فكثيراً من مدربي تطوير الذات يركز على قضية تقديس النفس واللهث خلف شهواتها وملذاتها، وترك الآخرين والرأسمالية المفرطة فمعيار الفعل أو الترك هو في مقدار ما يجلبه ذلك الشيء من البهجة واللذة، وبمقدار محبته، فما كان محبوباً فليفعل وما كان مبغوضاً فليجتنب، دون مراعاة للخلق والدين ، والحقيقة أن الأنانية وحب الذات لاعلاقة لها بالنجاح ، بل النجاح والسعادة في العطاء والإيثار والإنفاق كما سيأتي .

**ثالثا : المحاذير الاجتماعية :**

**المحذور الأول : الكسل وترك العمل :**

الدعوة إلى ترك العمل، والإعراض عن تحصيل الأسباب لنيل المطلوب، والاتكال على الأماني والأحلام، وذلك وفق قانون –مزعوم– يسمونه (قانون الجذب)، والذي ينص على (أن الشبيه يجذب إليه شبيهه) ، وأن (كلَّ شيءٍ يحدث في حياتك فأنت من قمت بجذبه إلى حياتك، وقد انجذب إليك عن طريق الصور التي احتفظت بها في عقلك، أي ما تفكر فيه، فأياً كان الشيءُ الذي يدور بعقلك فإنك تجذبه إليك). وأصحاب هذا المبدأ يعتقدون أن الفكرة الواقعة في العقل تؤثر بذاتها في محيط الإنسان وما حوله، وأن الإنسان يستطيع بفكرته المجردة أن يجتذب إليه ما يريد من الخيرات من غير عمل، ويزعمون أن الفكرة لها تردد، وأنها تنطلق من عقل

الإنسان على شكل موجة كهرومغناطيسية، وأنها تجتذب من خير الكون وشره مما هو على نفس الموجة، فإذا كنت تفكر تفكيراً إيجابياً فأنت تطلق موجة ذات تردد إيجابي تجذب إليك الإيجابيات، وإذا كنت تفكر بفكرة سلبية فأنت تطلق موجة سلبية تجذب إليك السلبيات. ولا شك أن هذا الكلام مصادم للعلوم التجريبية وبديهة العقل ، وأن اعتقاده أو العمل بأفكاره مصادم للشرع.

أما مصادمته للشرع ، فلأن الله تعالى أمر بالعمل والسعي في الأرض ، ورتب الرزق على بذل الأسباب ، وليس على الأماني والخيالات ، قال تعالى : ( **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** )[1]

وأما مصادمته للعقل فلأن الاعتماد على الأماني والأحلام يعني خراب العالم ، وتعطل مصالح أهله ، وإهدار ما أنجزته البشرية خلال قرون من معارف وعلوم وحضارات ، إذ مقتضى هذه النظرية ، أن المريض لا يطلب الدواء ولا يحتاج إليه ، والناس لا يحتاجون إلى مهندسين وبنائين وعمال ، فما على المحتاج إلا أن يفكر تفكير إيجابياً فيما يريد ، ثم يطلب من الكون – عياذا بالله – تحقيق مراده ، دون عمل أو بذل .

وأصحاب هذه الدعوة يتناقضون حين يقولون للمريض المشرف على الموت لا تتوقف عن الدواء ، وإلا فمقتضى فكرتهم ترك التداوي وإغلاق المستشفيات ، وتحويل كليات الطب إلى مقاعد للتفكير والاسترخاء لطلب الأماني والأحلام أو ما يسمونه الأفكار الايجابية ، وقس على هذا غيره من الأعمال ؛ فظهر بهذا أنها دعوة مصادمة للعقل ، مخالفة للحس ، لا تستقيم عليها حياة الناس ، وصدق القائل :

إذا تمنيتُ بتُّ الليل مغتبطاً *** إن المُنى رأس أموال المفاليسِ.[2]

---

١ –(١٤) سورة الملك .

٢ _ موقع الإسلام سؤال وجواب : https://islamqa.info/ar/112043

**المحذور الثاني : الدعوة إلى قطع الرحم .**

وذلك حينما يقدس الإنسان ذاته ويتأثر بقانون فك الارتباط فإن ارتباطه بوالديه وأقاربه يضعف ، بل أدّى ذلك إلى قطع رحمه مقدما مصالحه الشخصية والمادية بسبب هذا القانون الذي آمن به وطبقه ، ولاشك أن هذا من أعظم الأمور المنهي عنا في الإسلام , فقد توعد الله على من فعلها باللعن والطرد من رحمته يقول الله عز وجل: **{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) }**.[1] وفي الحديث عَنْ أَبِي بَكَرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يُدَّخَرُ لِصَاحِبِهِ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ"[2]رواه أبو داود.

وفي خاتمة هذه المحاذير أعترف أنّي لم أحط بها كلها ، ولكن هذه أبرزها وتكفي لمعرفة ما أحاطت به تلك الكتب والبرامج من الخطورة العقدية والنفسية والاجتماعيّة .. ولقائل أن يكون أنا أرغب في تطوير ذاتي وانتقادكم لها يضعف ذلك عندي؟ والجواب : أنني نبهت بأن البرامج ليست كلها محظورة وضارة بل من تلك البرامج ماهو مفيد ونافع .

وفي المبحث الثاني سأذكر بإذن الله جزءً من القواعد المفيدة عندما يريد المسلم تطوير ذاته .

**المبحث الثاني : طوّر ذاتك من خلال أوامر ونواهي القران و السنة و التجارب التي لاتعارضها ..**

---

١ _ (٢٢-٢٣) سورة محمد

٢ _ رواه أبو داوود (٢٧٦/٤)برقم(٤٩٠٢) وصححه الألباني .

فيما يلي سأذكر بعض تلك القواعد ( شرطٌ وجوابه ) إن فعلت حصل لك كذا ، وعدٌ من رب العالمين في كتابه العزيز وهي حسب تأمل الكاتب وتدبره ، ولاشك أنه يوجد في القرآن أكثر من ذلك ، وهذه دعوة للتأمل ومفتاح له فقط !.ـــــ

سأذكرها في مباحث مختصرة فيما يلي :-

**أولاً: التفاؤل والتوكل :-**

الفأل هو كما عبّر عنه النبي صلى الله عليه وسلم لما سأل ما الفأل ؟ قال :"الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم "(١).

وفي حديث أنس رضي الله عنه.. وفيه " ويعجبني الفأل : الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة " (٢).

إذاً هو انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيِّب (٣).

وهو ضد الطّيرة التي هي التشاؤم .وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تمنح الإنسان القوة والتفاؤل ... وتحقيق النجاح المطلوب ، خاصةً إذا أضفت عليها التوكل على الله ..{**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**}(٤).{**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** } (٥).بل حتى مع ظلام الدنيا بالمصائب

---

١ – متفق عليه ، رواه البخاري ٥/ ٢١٧١ ومسلم ٤ / ١٧٤٥ .

٢ – رواه مسلم ٤ / ١٧٤٦ .

٣ – موسوعة نظرة النعيم ٣ / ١٠٤٦ .

وقد جمعت د . فضليه عرفات ببحث لها منشور عبر الشبكة تعريفات عدة كلها تدور حول هذه المعاني ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى ذلك .

٤ – يونس الآية ٥٨ .

٥ – آل عمران الآية ١٣٩ .

نجد الانقلاب في حال التفاؤل والتوكل على الله إلى صباح ونور عظيم {**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**} [١] ، وبعبارة أخرى يؤكد الله عز وجل في القرآن الكريم كن متفائلاً دائماً ..{**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**} " [٢].

وقد اطلعت على دراسة في جامعة بيتسبورح منشورة عبر الشبكة ، درس الباحثون فيها معدلات الوفاة والظروف الصحيّة المزمنة بين المشاركات في دراسة ( مبادرة الصحة للنساء ) والتي تتبعت أكثر من مائة ألف امرأة تتروح أعمارهن بين ٥٠ عام وأكثر ، منذ عام ١٩٩٤م وكانت النساء اللاتي يتسمن بالتفاؤل أقل احتمالاً بواقع ١٤% للوفاة لأي سبب مقارنةً بالمتشائمات ..وأقل احتمالا بنسبة ٣٠% للوفاة من أمراض القلب ، بعد ثماني سنوات من المتابعة في هذه الدراسة ... وكانت المتفائلات كذلك أقل احتمالاً للإصابة بارتفاع ضغط الدم والبول السكري أو الإقبال على تدخين السجائر [٣].

وما أجمل المسلم المتفاءل حينما يتّوج تفاؤله بالتوكل على الله تعالى ، وها هو القـــــرآن الكريم يؤكد هذا المعنى { **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** } [٤].أشير إلى أن آيات التوكل في القرآن الكريم ، وأنه سبحانه هو الوكيل ، وهو نعم الوكيل سبحانه ، قد بلغت حوالي اثنتين وخمسين آية [٥] .منها قوله تعالى : {**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**} [٦].ومنها قوله {**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**}

---

١ – آل عمران الآية ١٧٣ – ١٧٤ .

٢ – الشرح الآيات ٥ – ٦ .

٣ – دراسة منشورة عبر الشبكة .

٤ – الطلاق الآية ٣ .

٥ – موسوعة نظرة النعيم ٤ / ١٣٨٨.

٦ – آل عمران الآية ١٥٩ .

(١).ومنها قوله {**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ** } (٢).**والتوكل** هو : صدق الاعتماد على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة ، وكِلَةُ الأمور كلها إليه ، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه (٣).

ولقد نص العلماء رحمهم الله على أن **للتوكل مواطن** ، وهو مطلوب في كل شؤون الحياة ، ومن ضمن تلك المواطن في القرآن الكريم ما يلي :

١. إذا طلبتم النصر والفرج فتوكلوا عليه ..{**إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ**} (٤).

٢. إذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التــوكل..{**فَأَعْــرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً**} (٥).

٣. إذا أعرض عنك الخلق فاعتمد على التوكل على الله.. {**فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**} (٦).

٤. إذا تُلي عليك القرآن أو تلوته وأردت الانتفاع به في خضم الحياة وزيادة إيمانك فاستند إلى التوكل {**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**} (٧).

---

١ – الأحزاب الآية ٣ .

٢ – آل عمران الآية ١٥٩ .

٣ – جامع العلوم والحكم لابن رجب ، ٤٠٩ .

٤ – آل عمران الآية ١٦٠ .

٥ – النساء الآية ٨١ .

٦ – التوبة الآية ١٢٩ .

٧ – الأنفال الآية ٢ .

٥. إذا طلبت الصلح والإصلاح بين قومٍ لا تتوصل إلى ذلك إلا بالتوكل.. {**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} (١).

٦. إذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتوكل.. {**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** } (٢).

٧. إذا نصبت الأعداء حبالات المكر فادخل أنت في أرض التوكل ..{**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ**} (٣).

٨. إذا عرفت أن مرجع الكل إلى الله ، وتقدير الكُلّ فيها لله فوّطن نفسك على فرش التوكل.. {**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**} (٤).

٩. إذا علمت أن الله هو الواحد على الحقيقة ، وهو المالك لهذا الكون فلا يكن اتكالك إلا عليه {**قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ**} (٥).

إذا كانت الهداية والسعادة من الله فاستقبلها بالشكر والتوكل {**وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا** وَلَنَصْبِرَنَّ **عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** } (٦).

---

١ – الأنفال الآية ٦١ .

٢ – التوبه الآية ٥١ .

٣ – يونس الآية ٧١ .

٤ – هود الآية ١٢٣ .

٥ – الرعد الآية ٣٠ .

٦– إبراهيم الآية ١٢ .

١٠. إذا داهمك الخوف ، وخشيت بأس أعداء الله والشيطان والغدّار ، فلا تلجأ إلاّ إلى باب الله وعليه توكل {**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**} (١).

١١. إذا أردت أن يكون وكيلك الله في كل حال فتمسك بالتوكل في كل حال ..{**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**} (٢) .

١٢. إذا أردت يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل ..{**الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**}(٣).

١٣. إن شئت أن تنال محبة الله فانزل أولاً في مقام التوكل ..{**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**}(٤).

١٤. إذا أردت أن يكفيك الله كل شيء ، وتحصل على كل شيء من خالق السماء والأرض ومالك الملك فعليك بالتوكل ..{**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** }(٥) (٦)، أي كافيه .

حقاً ما أحوج الأمة اليوم إلى هذه المعاني ، وترسيخها في النفوس ، فلنبدأ بأنفسنا وأسرنا ومجتمعاتنا .

**المبحث الثاني : هل التغيير يبدأ من الداخل :**

---

١ – النحل الآية ٩٩ .

٢ – الأحزاب الآية ٣ .

٣ – النحل الآية ٤٢ .

٤ – آل عمران الآية ١٥٩ .

٥ – الطلاق الآية ٣ .

٦ – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ٢ / ٣١٣ ــ ٣١٥ . وموسوعة نظرة النعيم ٤ / ١٣٨٠ ، بتصرف .

كثيراً ما يركز علماء التنمية البشرية على قضية التغيير وتطوير الذات من الداخل ، والبدء بتغيرها نحو الأفضل .

لكن ما حقيقة هذا التغيير وكيف يكون ؟؟

قال الله تعالى { **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** } [١].

أي : إذا غيّرت نفسك من المعصية إلى الطاعة من الأسوأ إلى الأحسن غيّر الله حالك من الضلال إلى الهداية وإلى الرحمة ، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أنه : ورد بهذا المعنى حديث مرفوع ثم ساق سنده إلى عمير بن عبدالملك قال : خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفةّ قال : كنت إذا أمسكت عن رسول الله صلى الله وسلم ابتدأني ، وإذا سألته عن الخبر أنبأني ، وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال : قال الرب : " **وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ، ما من قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي** " [٢].

ويقول ابن كثير رحمه الله أيضا في آية الأنفال {**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ**} [٣].

يقول رحمة الله : يخبر الله تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمةً أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه ،كدأب آل فرعون أي : كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته أهلكهم بسبب ذنبوهم ، وسلبهم تلك النعم التي

---

[١] – الرعد الآية ١١.

[٢] – تفسير ابن كثير صـــــ ٨٣٣ ، قال ابن كثير : وهذا غريب وفي إسناده من لا أعرفه .

[٣] – الأنفال الآية ٥٣ – ٥٤ .

أسداها إليهم ، من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين [١]. ا.هـ

إذاً فالخطوة الأولى قبل أن نغيّر الأشياء المكروهة في أنفسنا نغّير الأشياء المحرمة ، فنترك ما يغضب الله عز وجل فبالتأكيد ستحسن أحوالنا ــ أوليس الله تعالى يقول **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [٢].

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون .

إن صح أن يكون هناك شيئاً أسوأ من تلك الطاقات السلبية عند الإنسان ، كما يقول علماء النفس فهي الذنوب عند المسلم ، فيا ترى متى نعي تلك الرسائل القرآنية ؟! ونحّول أعمالنا لتكون إيجابية في نفوسنا من خلال طاعة الله واجتناب نواهيه ، ونرقى وننهض بهذه الأمة .

إن الله تعالى سننا لا تتغير**{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}** [٣] ، وهذا عهد الله ومَنْ أوفى بعهده من الله **{إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ }** [٤] ، فلنبدأ مرحلة التغيير إلى الأحسن .

ولسائل أن يسأل كيف أبدأ مرحلة التغيير ؟!

والإجابة في كتاب الله واضحة ، إنها المجاهدة والتعود والتكرار ، فكل أمرٍ ليس فيك جبلياً تستطيع أن تجعله مكتسباً بالمجاهدة و التكرار والإصرار .

---

١ – تفسير ابن كثير ٦٩٨ .

٢ – آل عمران الآية ١٦٥.

٣ – الفتح الآية ٢٣ .

٤ – الرعد الآية ١١ .

خذ مثلاً : الصبر .. يقول الله تعالى{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}(١).فقوله "**وصابروا**" يوحي إليك أن تلتزم بمجاهدة النفس وتعويدها على هذا الخلق العظيم ، ولهذا كان الصبر بالتصبّر ...ومع المجاهدة والتعود والتكرار تستطيع أن تكتسب الخلق العظيم أيضاً بالانتماء إلى أهله ، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى : {**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**}(٢)..

**المبحث الثالث : الدعاء والطلب :-**

ينص علماء التنمية البشرية وتطوير الذات إلى قاون يسمونه : "قانون الطلب ". لكن هذا الطلب لا يوجهونه إلى الله سبحانه وتعالى بل يوجهونه إلى الكون ، تقول ليزا نيكولس : " الخطوة الأولى هي أن تطلب ، وجه طلبك للكون ... ودع الكون يعرف ما تريده ولسوف يتسجيب الكون لأفكارك " (٣). وهذا فيه تخبط وكفر وإلحاد ، فكثيرا من الملحدين ينكر وجود الله تعالى ويجعل الطبيعة والكون هي الخالق !!

والحق أن يقال : اطلب من خالق الكون سبحانه وخالقك ؟! اطلب من الله وحده سبحانه . ادع الله تعالى بصدق.

اطلب ممن يملك خزائن السموات والأرض ــ سبحانه أخذ العهد على نفسه أن يجيب طلبك ودعواتك .. وها هو سبحانه في كتابه المنزل يقول : {**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**} (٤).

---

١ – آل عمران الآية ٢٠٠ .

٢ – الكهف الآية ٢٨ .

٣ – من كتاب السر صـــ ٤٧ .

٤ – البقرة الآية ١٨٦ .

ما عليك _بعد التفاؤل والتوكل عند عزم أي أمر من الأمور ، أو عند القيام بنهضةٍ لنفسك أو لأمتك _ إلا أن تدعو الله الذي بيده مفاتيح السموات والأرض ... أظهر غاية التذلل إلى الله والافتقار له والاستكانة له [١].

**قال المناوي رحمه الله :** الدعاء هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار .

وقيل : هو شفيع الحاجة ونُجْحُها باللجاجة [٢].

وللمشكك في فعالية الدعاء .. يقولها الله صريحة.. **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**[٣].

أو يخطر على بال أن أكرم الأكرمين سيرد من دعاه كيف ذلك ؟ وهو استجاب للمشركين الذين أخطأوا في حقه أشد الخطأ فأشركوا معه غيره .. ومع ذلك استجاب لهم ونجاهم إلى البر **{وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ }** [٤].

وفي آية أخرى يقول سبحانه **{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}** [٥].

فما أحلمه عنهم !! وما أكرمه لهم !! سبحانه .

وأين نحن من هذا الحديث قال صلى الله عليه وسلم : " ما على الأرض من مسلم يدعوا الله بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، فقال رجل من القوم إذا نكثر قال الله أكثر " [١].

---

١ – مأخذوةٌ من عبارات الطيبي رحمه الله ــ فتح الباري ١١ / ٩٥ .

٢ – موسوعة نظره النعيم ٥ /١٩٠٣ .

٣ – غافر الآية ٦٠ .

٤ – لقمان الآية ٣٢ .

٥ – العنكبوت الآية ٦٥ .

وعمرُ رضي الله عنه لما فقه هذا المعنى قال : إني لا أحمل همَّ الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وأيضا فالواقع المشهود يدل على ذلك ، وقد أخبر سبحانه في مثل قوله تعالى {**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ**} [٢] .وقوله تعالى {**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**} [٣] .وقــوله تعالى {**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**}[٤].وقوله عن زكريا عليه السلام {**وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**} [٥] ....إلى آخر كلامه النفيس في ذلك [٦] .

اطلب تعط وتحرّ مواطن الإجابة ... وألحّ في ذلك ..وثق من داخل شعورك الإنساني وسترى النتيجة بإذن الله .

**المبحث الرابع : التخطيط والاستشراف المُشرِق :-**

---

[١] – رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ٥ / ٥٦٦ .

[٢] – الصافات الآية ٧٥ .

[٣] – الأنبياء الآية ٨٧ – ٨٨ .

[٤] – النمل الآية ٦٢ .

[٥] – الأنبياء الآية ٨٩ – ٩٠ .

[٦] – دقائق التفسير لابن تيميه ٢ / ٥١٧ / ٥١٨ .

كثيراً ما يتحدث علماء التنمية البشرية عن أهمية الوضوح .. وضوح الرسالة والرؤية والأهداف ... والتخطيط وبذل الأسباب للوصول إليها ، سواءً كان ذلك في حياة الفرد العادي ، أو مؤسسات المجتمع المختلفة .

ويرى العلماء من خلال دراسات أُعدّت أن نسبة الذين يخططون لحياتهم لا تصل ٣% من مجموع الناس كُلّها ، وأن هذه النسبة القليلة هي التي تقود المجتمعات في مجالات الحياة المتنوعة .

وفي دراسة أعدتها جامعة هارفارد الأمريكية عام ١٩٧٠م سألوا فيها مائة طالب عن خططهم في المستقبل ، وما إذا كانت لديهم خطط واضحة ، ثلاثة فقط بالمائة أجابوا بالتفاصيل عن خططهم المستقبليّة ، أما البقية فلم يعرفوا ما الذي يريدون تحقيقه بعد ... بعد عشرين سنه قامت الجامعة بالبحث عن المائة طالب.. فوجدوا أولئك الثلاثة الذين خططوا.. يملكون أكثر من ٩٠% من ممتلكات المائة كلهم [١] .

إذاً من أسباب النهوض بالأمة على مستوى الأفراد والمؤسسات التركيز على رسالتها ورؤيتها وأهدافها .

يقول تعالى :{**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** } [٢] ، ففي هذه الآية دعوة للدولة الإسلامية ، إلى العمل والتخطيط والاستعداد بالقوة لمواجهة أمر مستقبلي ، قد يحدث لدار الإسلام ، أو أمن الدولة بالاعتداء عليها مستقبلاً وهذه الآية تمثل أساساً لنظرية " الردع الإسلامي " .

ويقول سبحانه :{**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**} [٣] ففي هذه الآية توجيه للإنسان للاستشراف في حال الحياة الدنيا ليواجه بها مصير

١ – كيف تخطط لحياتك ، د . صلاح الراشد .

٢ – الأنفال الآية ٦٠ .

٣ – القصص الآية ٧٧ .

الآخرة ، ويقول سبحانه في قصة يوسف عليه السلام :{**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**} [١] .

والآيات تأويل ليوسف عليه السلام لرؤيا الملك ، ومنها توجيه للإنسان لكي يخطط لحماية الدولة مستقبلاً لما قد يحدث لها ، والعمل على تفادي وقوع المخاطر في المستقبل وكذلك الأزمات والنكبات التي قد تحدق بالأمة ، وذلك عن طريق الاستشراف لهذه المخاطر يمكن تفاديها أو التقليل من آثارها [٢] .

تلك رسائل قرآنية هامة ... لنقل الأمة إلى التخطيط .

وتخيلّ في نفسك فرداً متفائلاً ..متوكلاً.. يؤمن بأن التغيير يبدأ من الداخل.. ملحاً على الله بالدعاء والطلب.. لديه وضوح رؤية ورسالة وأهداف .. كيف سيكون ؟!

وأمةٌ هكذا أفرادها كيف ستكون ؟!

**المبحث الخامس : العمل سر السعادة والنجاح :**

إن ارتباط السعادة و النجاح بالعمل في القرآن الكريم ليس مقصوراً على الدار الآخرة وحدها ، بل يجري الجزاء في الدنيا ... فمن سنن الله تعالى أن الله يعطي كُلّ عاملٍ مجدٍ ثمرة عمله ، فالطالب أو المدرس أو الصانع أو التاجر يدعوه دينه إلى أن يكون عاملاً مثابراً مخلصاً متقناً لعمله ، لأنَّ الله يُحبّ إذا عمل أحدنا عملاً أن يتقنه ، والقرآن الكريم أكد هذه الحقيقة.. {**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا**

[١] – يوسف الآية ٤٧ – ٤٩ .

[٢] – استشراف المستقبل ، أ.د . رضا وهدان (٢٠) .

**تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}** (١). **{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا }** (٢).

**{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}**(٣).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : أي هو الذي سخّر لكم الأرض ، وذللها لكم لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم من غرسٍ وبناء وحرث وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة ( فامشوا في منا كبها ) أي لطب الرزق والمكاسب .(٤). ا .هـ

وفي أحكام القرآن الكريم للجصاص : **{وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً }** (٥)

أي يجد في الأرض متسعاً سهلاً كما قال الله **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }** (٦)فمراغم وذلول متقاربان في المعنى . وقيل في ( المراغم) : ما يُرْغِمُ به من كان يمنعه من الهجرة وأما قوله :( وسعه ) فإنه روي عن ابن عباس والربيع بن أنس والضحاك أنه : السعه في الرزق ... (٧).

---

١ – القصص الآية ٧٧ .

٢ – هود الآية ٦١ .

٣ – الملك الآية ٣.

٤ – تفسير السعدي(١ / ٨٧٧) .

٥ – النساء الآية ١٠٠ .

٦ – الملك الآية ١٥ .

٧ – أحكام القرآن للجصاص( ٣ / ٢٢٨) .

ومما يدلل لذلك أيضاً أن الله تعالى في القرآن الكريم قرن العمل بالجهاد .. فقال تعالى {**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** } (١) .

وقد فُسّر الضرب بالتجارة (٢) والتجارة تُعد من أصول الأعمال المهنية والفنية ، بل إن الله عز وجل قرن العمل لأهميته بالصلاة والحج كما في قوله تعالى {**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ** } (٣) .

وفسّر بعض العلماء ( المنافع في الحج ) في قوله تعالى {**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ** } بأنها الأجر في الآخرة ، والتجارة في الدنيا .

بل إن الله تعالى في القرآن الكريم قدّم لنا القدوة والمثل الأعلى على الاهتمام بالعمل وبين شرفه حتى إن الله تعالى جعل العمل نوعاً من الشكر ، لأنه به تتحقق فائدة ما أنعم به وما أوجده في هذا الكون قال تعالى {**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**} (٤) .

ولقد لفت نظري عند قوله صلى الله وسلم " **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** " (٥).

إن أهم أسباب نجاح الصناعات الحديثة في بعض الدول وتفوقها على غيرها اهتمامها بمراقبة الجودة النوعية ، ثم انتشار وجود قسم متخصص في كل مصنع لمراقبة جودة الإنتاج ، واستبعاد أي قطعة ليست في غاية الإتقان ، ثم عقد اجتماعات دورية للجان الجودة النوعية لاقتراح ما يرونه مناسباً لتحسين نوعية

---

١ – المزمل الآية ٢٠ .

٢ – أضواء البيان للشنقيطي (١ / ٨٩ ).

٣ – الجمعة الآية ١٠ .

٤ – سبأ الآية ١٣ .

٥ – المعجم الأوسط للطبراني( ١ / ٢٧٥ ).

المنتجات ، بل تطّور الأمر بعد إلى إيجاد فريق متابعة الجودة خارج المصنع ، وذلك لاكتشاف أي خلل أو قصور في أية سلعة ، واستبدالها وتعويض المستهلك عن أي خسارة تحملها نتيجة لذلك ، وقد أوجدت تلك الدول جائزة سنوية تمنح للشركات التي تحقق أعظم تحسن في الجودة والنوعية ، ولأهمية ذلك فقد أنشئت رابطة دولية لحلقات مراقبة الجودة النوعية [١].

**المبحث السادس : الوفرة والعطاء :-**

لقد سخّر الله لنا هذا الكون بما فيه ، وسخّر تغني في اللغة :كلفّه بالعمل بلا مقابل ، وتأتي كلمة التسخير بمعنى :التذليل.

ولقد اطلعت سريعاً على آيات التسخير لنا فوجدتها قد بلغت نحواً من ثلاثين آية [٢]...تلك غير الآيات التي من أمثال قوله تعالى: { **خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً** } [٣]

فسبحان من عنده خزائن السموات والأرض ، هذا الذي سخّر لنا الكون هو سبحانه من قال {**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**} [٤] .

ومن قال {**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**} [٥] .

وهو من قال {**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**} [١] .

---

١ – التقنية والعمل الدعوي للصغير (١٥ / ١٦) ، دار الأثير .

٢ – ولولم يرد إلا قوله تعالى {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (١٣) سورة الجاثية ..لكفى .

٣ – البقرة الآية ٢٩ .

٤ – البقرة الآية ٢٤٥ .

٥ – الحديد الآية ١١ .

وهو من قال {**إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ**}(٢) .

والمضاعفة ليس لها حد ... {**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**} (٣) .

وهذه المضاعفة لهم في الدنيا والآخرة لأن العبرة بعموم اللفظ .

ويؤيدها حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " ما نقص مال من صدقه " (٤)

قال النووي رحمه الله : ذكروا فيه وجهين : أحدهما: معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات ، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية ، وهذا مدرك بالحس والعادة . والثاني : أنّه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه ، وزيادة إلى أضعاف كثيرة " (٥).

وهنا لعلي ألمح إلى نقطة هامة وهو أن العطاء قد لا يكون بالمال فقط بل بغيره أيضاً .

خذ مثلاً بر الوالدين : فمن بر بوالديه برَّه أبنائه .." **بروّا آباءكم تبركم أبناؤكم** " (٦)

ويحدثنا الله تعالى في القرآن الكريم عن الخليل إبراهيم عليه السلام حينما تأدب وتلطف مع والده .. على ما كان والده من القسوة ... ما كان من إبراهيم عليه

---

١ – الحديد الآية ١٨ .

٢ – التغابن الآية ١٧ .

٣ – البقرة الآية ٢٦١ .

**٤ – رواه مسلم (٤ / ٢٠٠١) .**

**٥ – شرح النووي لصحيح مسلم(١٤١/١٦) .**

**٦ – رواه الحاكم في المستدرك (٤ / ١٧٠) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .**

السلام إلا أن قال {**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**}[١] ...فرزقه الله عز وجل ولداً صالحاً إنه إسماعيل عليه السلام ، الذي تأدب معه غاية التأدب عندما أعلمه أنه أُمِر بذبحه..{ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ** } [٢] .

إننا حقاً بحاجه إلى تنمية الجود والعطاء والإحسان بين أفراد الأمة ليعود عليها بالأثر الطيب المبارك .

{**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**} [٣].

**المبحث السابع : الشكر والامتنان :-**

يعدّ علماء التنمية البشرية الممارسة اليومية للامتنان صانعة للوفرة والنجاح ، ونحن نقول لقد أخبرنا رب البشرية كلها بكتابة العزيز : {**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**} [٤] .

فالشكر يزيد النعم .. كما أن الكفر يذهبها ، هكذا كانت نصوص المفسرين إنها صريحة الدلالة ... إنها عامة .. إن الزيادة في كل شيء.. في الصحة... في المال.. في الجاه ..في النصر.. في العز والرفعة .. في كل شيء .

قال ابن القيم رحمه الله : قرن الله سبحانه الشكر بالإيمان ، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال :{**مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**}[٥] .

---

١ – مريم الآية ٤٧ .

٢ – الصافات الآية ١٠٢ .

٣ – الليل الآية ٥ – ١٠ .

٤ – إبراهيم الآية ٧ .

٥ – النساء الآية ١٤٧ .

إلى أن قال رحمه الله : وعلّق الله سبحانه المزيد بالشكر والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره {**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**}[1] ا.هـ .

كثيرةٌ هي آيات الشكر في القرآن تزيد على الخمسين آية ..ويكفي أن الله تعالى وصف العظماء من خلقه بأنهم من الشاكرين .فنوح عليه السلام { **كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**} [2] . وإبراهيم عليه السلام {**شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** } [3] .وأوصى الله موسى عليه السلام بقوله {**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ**} [4] **...فلله الحمد أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً . . .**

**الخاتمة**

وفي خاتمة هذا الوريقات ، أحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعه .. وبعد /

فمهما بلغ الإنسان من العلم والتقدم والحضارة فلن يحيط بما جاء به هذا القرآن العظيم من أسرار وعجائب وإيمانيات وتوجيهات ، فمعينه لا ينضب .

وسبحان من جعل هذا .."الذكر الحكيم صراطاً مستقيماً ، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، من قال به صَدَق ، ومن عمل أجر ، ومَنْ حكم به عدل " [5]...

وماسبق شذرات وومضات ليس إلّا ، وأهم التوصيات فيها ما يلي :

---

**١ – إبراهيم الآية ٧ .**

[2] – الإسراء الآية ٣ .

[3] – النحل الآية ١٢١ .

[4] – الأعراف الآية ١٤٤ .

[5] – من أثر ورد عن الترمذي (٥ / ١٧٢) .

١. يجب تنقية برامج وكتب تطوير الذات من الشوائب والكدر العقائدية والأوهام التي تضر ولاتنفع .

٢. بث روح التفاؤل والتوكل على الله في أبناء الأمة ، من خلال شتى المجالات التربوية والتعليمية والإعلامية .

٣. ضبط شعار بأن التغيير يبدأ من الداخل "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما أبنفسهم " أنه باجتناب المعاصي والمخالفات .

٤. توجيه النفوس إلى الالتجاء إلى الله تعالى في الرخاء والشدة ، وتعويد النفس على الشكر والامتنان لله تعالى ، فإن لذلك أثر عجيبا كما سبق بيانه .

٥. إلزام الحكومات الإسلامية لقطاعاتها ومؤسساتها بوضع خطط وأهداف واضحة .. وأيضا نشر ثقافة التخطيط وتحقيق الأهداف في المجتمعات الإسلامية ، خاصةً لدى الطلاب في المدارس .. ولو من خلال مقررات دراسية.

٦. " العمل سر السعادة والنجاح " " الإتقان في العمل دليل النجاح " " العمل بدون تخطيط جهدٌ قد يضيع " الكون بما فيه مسخر لأجلنا ..... إلخ " كلها قناعات لابد أن تحيا في نفوس أبناء الأمة .

٧. دعم المشاريع الخيرية والتنموية في العالم الإسلامي ودعوة الموسرين لذلك ، إذا أن العطاء والإحسان مردودة مضاعف للفرد المُعطي ، وللأمة أجمع .

٨. التفاؤل ، التوكل ، التغيير من الداخل ، الدعاء والطلب ، العمل ، التخطيط ، الشكر والامتنان ، كلها انطلاقه إلى السعادة والنهضة والنجاح دعا إليها القرآن الكريم .. كل ذلك لا يمنع أبداً من الاستفادة من تجارب الآخرين في تحقيقها والتوصل إليها مع عدم إغفال الجوانب التي ذكرها القرآن ، ولا يمكن أن يخالف القرآن عقلاً صريحاً كما هو معلوم .

٩. استنهاض همم العلماء والمفكرين لاستخراج المزيد من طرق التنمية البشرية في القرآن الكريم للوصول إلى السعادة في الدارين ..

## شكر

**تم دعم هذا البحث من قبل جامعة الملك سعود، عمادة البحث العلمي، وحدة البحوث بكلية المجتمع .**

## فهرس المصادر والمراجع


١. القرآن الكريم .

٢. أحكام القرآن للجصاص ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، تحقيق / محمد الصادق .

٣. استشراف المستقبل ، أ.د . رضا وهدان ، ط: بدون .

٤. أضواء البيان للشنقيطي ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ، ١٤١٥هـ

٥. بحث ، د. محمد يوسف أبو ملوح – مركز القطان للبحث والتطوير التربوي ، غزة ، منشور عبر الشبكة .

٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٧. تحفة الأحوذي للمباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨. تفسير ابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، مطبوع في مجلد واحد ضخم .

٩. تفسير السعدي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ .

١٠. التقنية والعمل الدعوي ، لـ د.سليمان الصغير ، دار ابن الأثير ، الرياض

١١. جامع العلوم والحكم لابن رجب ، مكتبة الرسالة الحديثة .

١٢. دروس مسجلة للشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله منشورة في موقعه الرسمي.

١٣. دقائق التفسير لابن تيمية، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ط:٢ ، ١٤٠٤هـ ، تحقيق / محمد السيّد .

١٤. السرّ ، لـ ( روندا بايرن ) ط:٣ ، ٢٠١٠م ، مكتبة جرير .

١٥. سنن أبي داود ، دار الفكر ، تحقيق / محمد محي الدين عبدالحميد .

١٦. سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق / أحمد شاكر

١٧. شرح النووي لصحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط:٢ ، ١٣٩٢هـ .

١٨. صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ط:٣ ، تحقيق / مصطفى ديب البغا .

١٩. صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق / محمد فؤاد عبدالباقي .

٢٠. العادات السبع للناس الأكثر فعالية ـ ستيفن كوفي ، مكتبة جرير .

٢١. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية.

٢٢. فتح الباري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، درا المعرفة ، بيروت ، تحقيق / محب الدين الخطيب .

٢٣. قانون الجذب ، لـ د.صلاح الراشد ، مركز الراشد ، ط:١ ، ٢٠٠٩م .

٢٤. كيف تخطط لحياتك ، د . صلاح الراشد ، مؤسسة الراشد ، ط:١٠ ، ٢٠٠٧م .

٢٥. لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٢٦. مختار الصحاح للرازي ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٩م .

٢٧. المستدرك على الصحيحين للحاكم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط:١٠ ، ١٤١١هـ ، تحقيق / مصطفى عبدالقادر عطا.

٢٨. المعجم الأوسط للطبراني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ ، تحقيق / طارق الحسيني .

٢٩. منهاج السنة لشيخ الإسلام بن تيمية .

٣٠. موسوعة نظرة النعيم ، لـ .د.صالح حميد وعبدالرحمن ملوح ، دار الوسيلة ،ط:٣ ، ١٤٢٥هـ .

٣١. اليوغا في ميزان النقد العلمي. فارس علوان . دار السلام .

٣٢. موقع الإسلام سؤال وجواب .